

مهمة المؤتمر القومي

ان المؤتمر يحتاج لأقصى ما يمكن من التريث والموضوعية^(١) البعيدة عن الانفعال حتى يستطيع أن يقوم بدوره، في هذا الظرف التاريخي، وإلا فإنه يعجز عن القيام بهذا الدور.

المؤتمر القومي يمثل الحزب، فكرة الحزب ونضال الحزب وأسلوب الحزب في العمل، يمثل جميع الأقطار التي يوجد فيها الحزب، يمثل الأكثرية والأقلية، يمثل الحزب في الحكم، والحزب في النضال، وتحت وطأة الاضطهاد.. فلكل هذه الاعتبارات نحتاج إلى ما طلبت.

إني أطلب نفسي وأطالب الرفاق بأن يزِنُوا كل كلمة ويقَدِّروا مسؤوليتها، نظراً لخطورة الموقف. لذلك أعتقد بأني طرحت مشكلة لم يتعرَّض لها أحد الرفاق.. فكيف يمكن إذن للمؤتمر أن يحكم ويستنتج ويصل إلى تقرير خطة، تقرير خطوط في سياسة الحزب إذا لم نعالج كلنا نفس المشكلة. فالمشكلة التي طرحها الرفيق.. أنا أول من يؤيده فيها، والمؤتمر كله وفي مثل هذا المؤتمر أريد أن أعتقد أنه لا يوجد من يدافع عن الرجعية أو الاقطاعية أو سياسة المهادنة أو أي شيء من هذا القبيل.. هذا المؤتمر يمثل ذروة الثورية في الحزب. فالمشكلة التي طرحتها والتي أعاني تخوفاً وقلقاً من أجلها منذ زمن، وأتحدّث عنها، هي في العيوب والأخطاء التي يمكن أن ترافق هذا الاندفاع الثوري في الحزب، والتي يمكن أن تهدد عملنا الثوري بالفشل أو بالضعف. فعندما نظرناها بشكل آخر بأن الرجعيين يريدون منا كذا، أو غير الثوريين في

(١) كلمة ثانية في الجلسة الرابعة عشر من جلسات المؤتمر القومي السادس.

الحزب يريدون منا مثلاً أن نراعي اعتبارات غير ثورية . . نقول مرة أخرى ، بعد المؤتمر القطري تجنبنا المشكلة المطروحة ، لنهتم بمشكلة أخرى هي أيضاً مطروحة ، ولكنها مطروحة بيننا وبين خصومنا ، بيننا وبين أعداء الحزب ، واننا هنا نطرح مشكلة في داخل الحزب . وقد قلت عندما ظهر هناك من يستغل خارج الحزب مثل هذه الأمور أننا امتنعنا عن طرح أي شيء في المؤتمر القطري .

المؤتمر القومي عليه أن يعالج سلامة تركيب وانتظام وسير هذه الآلة الثورية التي هي قيادات الحزب والتي هي بالدرجة الأولى مسؤولة عن نجاح الثورة ، عن تحقيق الأهداف . فهل إذا كان في البلاد رجعيون ومتآمرون وشعوبيون وانتهازيون وغير ذلك ، يمنع أن يكون للثوريين أخطاء؟ أو يمنع من أن يقع الثوريون في أخطاء؟ أظن لا . ماذا يريد الرفيق من كلامه؟ . . قلت بأن هذه الفئة هي فئة مناضلة . هذا لا يمنع أن تكون سرّت إليها عدوى ، أو تورطت في عقلية فيها تكتل ، فيها فردية ، فيها - ربما - إرهاب للأقلية ، إرهاب يحرم الحزب من شروط الحرية التي تساوي وجوده . إذا فقدت الحرية من هذا الحزب فقد الحزب معها شيئاً ثميناً جداً . وقلت : هذه علائم نخشى أن تتضخم في المستقبل ، ومن واجبنا أن نشير إليها منذ الآن .

فأول وأهم ملاحظة أحب أن ألفت انتباه المؤتمر إليها هي أن المشكلة لم تُطرح طرْحاً صحيحاً . هناك مشاكل ، وما طُرح يعتبر مشكلة كبيرة ، وكل ما قام به المؤتمر حتى الآن هو دليل على أن المؤتمر أوجد الحلول للمشكلة التي طُرحَت ، سواء المنطلقات العقائدية التي أقرّها المؤتمر ، سواء التقرير السياسي ، سواء التقرير التنظيمي وعلاقة الحزب بالحكم ، كلها تضمن لحزبنا أن يبقى في الخط الثوري الحاسم الذي لا لبس فيه ، والذي لا يمكن أن يميل أو يحيد عن الثورة . وهذا لا يمنع أن هذه الأمور التي طرحت في المؤتمر والتي هي وقائع وقطع حية من التجربة النضالية وتجربة الحكم ، تجربة الحزب في الحكم في هذه الأشهر التي مضت على الثورة ، هذه الوقائع كما قلت هي قطعة من الواقع الحي يجدر بنا أن نلّم بها . ولكنني أعود فأقول : المؤتمر غير حائر ، ولا متردد ، في اتخاذ موقف من هذه المشكلة . للمؤتمر موقف اتخذته أثناء مناقشاته العديدة لجميع التقارير . لقد حدّد المؤتمر ، مؤتمر حزب

البعث العربي الاشتراكي، خطأً ثورياً كان دوماً خط الحزب، والآن يحتاجه الحزب أكثر من أي وقت مضى. هذا يضيفي كل دواعي الاطمئنان على المستقبل. لكن هناك مشكلة أخرى، وفي اعتقادي أهم، إذ ما نفع الخط الثوري الذي لا يجد من يحسن تطبيقه؟ أهم من الثورة هي الأداة التي يوكل إليها التنفيذ والتحقيق. فالمشكلة هي هذه: علينا أن ندقق في إيجاد هذه الأداة. وإذا لم يكن هذا أهم شاغل للمؤتمر القومي فما عسى تكون مشاغله في ظرف كهذا؟ علينا أن ندقق في هذه الأداة، في النظام الذي يجمعها، في الأسلوب الذي نتبعه في العمل. هذه الأشياء التي نضعها في نظام الحزب كمواد، وعلينا أن نسأل دوماً لتتحقق فيما إذا كانت تطبق في العمل، وخاصة عندما تتغير الظروف، تصبح المسؤوليات خطيرة جداً. وقد نبّهت في عدة مناسبات خلال جلسات المؤتمر الى بعض النقاط، نقاط فيها خطر الحكم على الحزب، خطر السلطة على الحزب عندما يستلم الحزب السلطة في قطر أو أكثر.

أيها الرفاق.

من الصعب دوماً عليّ أن أتعرض لشخصي، إلا عندما لا يكون مناص من ذلك. وأجدني مرة أخرى في هذا المؤتمر مضطراً أن أكرر وأؤكد شيئاً، هو أن الذي يتكلم فيّ هو هذا الشخص الذي رافق الحزب منذ يومه الأول، هذا الشخص الذي بلغ من العمر حداً هو أقرب الى السن المتعبة، وهذا الشخص قد مرّ بتجارب عديدة، ولم يعد له فعلاً في هذه الحياة من مطمح، غير أن يرى هذه الحركة التي ساهم فيها - وأقول هذا بكل تواضع - إن هذا الشخص لم يعد له إلا مطمح واحد أن يرى هذه الحركة ناجحة النجاح الصحيح، النجاح الصادق، أي النجاح المتفق مع القصد الأول من نشوئها، مع المبادئ التي أعلنتها، والآمال والمطامح التي وضعها الشعب العربي فيها، وأن كل تهديد لهذا النجاح الصادق يشكّل قلقاً وقلقاً عميقاً بالنسبة لي. وانني خاصة بعد ثورتي رمضان وآذار، عندما أنظر الى الأمور أستطيع بما عندي من تجربة أن أقول أننا نقترّب أو نبتعد عن الخط الذي رسمناه لحركتنا. بعد هاتين الثورتين أراقب الأحداث وانعكاساتها العالمية والعربية والداخلية، أراقب تصرفات الحكم والحزب الذي يساهم مساهمة جزئية أو كلية في هذا الحكم. في سورية أصبح الحزب رسمياً

وإسماً هو كل الحكم . في العراق كان في البداية له رجحان كبير ثم ظهرت عوامل وتقلص دوره نوعاً ما . . على أية حال هذا الحكم القائم في العراق وفي سورية يتحمل الحزب مسؤوليته شاء أم أبى . ولأقل أيضاً أن أشخاص القادة يتحملون هذه المسؤولية أكثر من غيرهم ، شاءوا أم أبوا ، - يتحملون مسؤولية موضوعية ، تاريخية ، فأنا مثلاً قد أكون لا أعلم لي مطلقاً بما يجري في الحكم في العراق أو حتى في بعض نواحي الحكم في سوريا ، ولكنني أحمل مسؤولية هذه الأشياء في نظر القريب والغريب وهذا يمكن أن يقال بالنسبة للقياديين ثم بالنسبة الى الحزب ، لذلك يشعر كل منا بهذا الواجب أن يبقى الحزب أقرب ما يكون الى الصورة التي رسمها لنفسه . المسألة ليست مسألة خسارة شخصية عندما أقول كل منا يتحمل مسؤولية ، ليست مسألة سمعة مثلاً : ان سمعة الشخص قد تلوّثت أو أسوء إليها ، وليست بالأحرى مسألة مصلحة ، إنها هي مسألة قناعة داخلية وجواب على تساؤل : هل فعلاً ان الحزب يتعد عن خطه ، هل هو المسيطر على نفسه وعلى إرادته ، هل يعمل خلاف ما يعتقد مضطراً نتيجة الارتباك ، نتيجة الفوضى ، نتيجة الفردية ، نتيجة الارتجال ، نتيجة عجز؟ كيف يكون هذا الحزب إنسانياً في أعماقه ودوافعه ونُتهَم بالفاشية وبكل المعزوفة المعروفة . هل هذا تجنّ خالص أم أن له بعض الأساس من الحقيقة - وهذا لا يعني أننا إذا وجدنا أن بعضنا أخطأ فسنياس من أنفسنا ، وسنياس من شعبنا أو من الحزب ، ولكن يجب أن نعرف بأننا أخطأنا ويجب أن نعرف بأن هذا الخطأ تقيمه بهذا الحجم ، وذاك بذاك الحجم . يجب أن لا نقول أن التجربة مليئة بالأخطاء ويجب أن تعالج ، بل أن نميّز بين أخطاء خطيرة وأخطاء صغيرة . وعندما نقول أخطاء كبيرة ، فأعود وأكرر ليس من أجل أن نياس أو ليس من أجل أن نحطّم بعضنا أو أن نتخذ ذلك ذريعة لأن نحطّم اندفاعات الشباب ، ولكن من أجل أن تهتّز ضمائرنا وأن تصحو عقولنا ، فنعرف أن ذلك خطأ مسيء وبالتالي نفكر في طريقة تلافيه .

بعد قيام ثورة رمضان ذهبت القيادة القومية إلى بغداد ، وحاولنا هناك أن نذكر سياسة معروفة ، بخط معروف في الحزب : ان حزبنا لا يمكن أن يكون حزباً معادياً للشيوعية ، كما يفهم من هذا التعبير في العالم ، اننا نحارب الشيوعيين عندما يحاربوننا ،

ولكننا لانحارب الشيوعية بشكل منتظم ونهائي . وبالتالي يجب أن نحترس من أن تطول مدة القمع خاصة أن الصدى السلبي بدأ يظهر منذ ذلك الحين ونحن في بغداد، أي في الأيام العشرة الأولى لثورة رمضان . بدأ الصدى السلبي العالمي يظهر بعد أسبوعين من قيام الثورة في الدعاية السوفياتية ودعاية الأحزاب الشيوعية، وحتى في الدعاية الاستعمارية تريد أن تلوّث سمعة الحزب بأي شكل حتى عندما يكون ذلك لمصلحة الشيوعيين . بعد شهر، وشهرين، بدأنا نلمس أن الشقة أخذت بالاتساع بدلاً من أن تعالج وتُتلافى، إلى درجة أن الانعكاس في الرأي العام الدولي العالمي بدأ وكأن حزب البعث انحاز إلى الغرب ضد الاتحاد السوفياتي، وضد الأحزاب التقدمية، أي أن شيئاً أساسياً من سمعة الحزب في الحياض الايجابية أخذ يُهدد، كل هذا نتيجة الاستهتار بالمستوى القومي والتخطيط القومي حتى بمجرد الاستشارة، مجرد أن نعترف بأن جزءاً من الحزب لا يغني عن الأجزاء الأخرى، واننا دوماً وفي كل ظرف محتاجون إلى كل الحزب وإلى كل أفكار الحزب وإلى كل تجربة الحزب لنقرر عملاً ويكون هذا القرار صائباً وصحيحاً.

وأذكر انني أكدت لأحد الرفاق وكان في دمشق ويزمغ السفر إلى بغداد، بأن يراجع الاخوان هناك ويتبهمهم إلى خطورة هذا المحذور، المحذور بالنسبة لسمعة الحزب: أي مفهوم الحياض الايجابية الذي أتى به حزب البعث، ولماذا الاستمرار في هذه العمليات؟ .. كنا نسمع من الاخوان تبريراً لهذه السياسة، سياسة تعذيب وتقتيل الشيوعيين، ثم في المدة الأخيرة، منذ شهرين، أمسينا نسمع بأن الذين كانوا يلحون على القيادة بالاستمرار في هذه السياسة، هم من غير الحزبيين أو من الحزبيين الذين لم يعيشوا تقاليد الحزب، وبالتالي كانت تشوب أفكارهم نزعة الفكر القومي اليميني الذي يعتبر أن القومية هي التي تحارب الشيوعية.

هذا مثال . وهناك أمثلة أخرى على ضرورة مساعدة الحزب في الأقطار العربية المناضلة، أو ضرورة مساعدة النضال العربي في أقطار لا يوجد فيها الحزب أو ما زال في بدايته . منذ البداية طالبنا بأن يكون للعراق دور في مساعدة اليمن، منذ البداية طالبنا بأن يكون له أثر في مساعدة الجزائر، من البداية قلنا بأن بغداد يجب أن تصبح

هي مركز التوجيه والانجاز للنضال العربي في الخليج وفي الجزيرة. هذا شيء طبيعي، يجب أن تلعب هذا الدور. منذ البداية طالبنا بأن تكون بغداد في توجهها القومي، البعثي، نموذجاً ثورياً صحيحاً مصححاً لنموذج القاهرة، في الاذاعة وفي التوجيه وفي الاتصال بالحركات الشعبية والنضال الشعبي ليظهر الفرق بشكل إيجابي.

أورد هذه الأشياء لا لأقول أن رفاقنا كانوا ضد ذلك أو شيء من هذا القبيل، وإنما رغم اقتناعهم لم يحلوا هذا المحل الأول وبالتالي لم ينفذوا أشياء تذكر في هذا الخصوص اللهم إلا مساعدات جزئية للحركة الشعبية في المغرب.

إن قصدنا من هذا الكلام أن لا نرضى عن أنفسنا بسهولة، أن نحذر مراعاة أنفسنا ومعاملة أنفسنا، أن نعترف بتقصيرنا الذاتي، ليست الظروف السياسية، والعقبات الخارجية هي دوماً السبب في منعنا من تحقيق ما نريد، وإنما في بعض الأحيان الاستخفاف، والغرور، والفردية، هي التي كانت السبب، وعدم تقدير أهمية أي شيء خارج العراق، والانغماس في المشاكل المحلية. وقد سمعت أنا وغيري بعض الرفاق يقولون: ماذا يهم الرأي العام العربي، ماذا يهم الرأي العام الدولي؟ وأقول أخرى مشابهة. فعندما نقف إذن وننبه، فلكي نتفادى هذه الأشياء.

وأنا قلت في هذا المؤتمر كلمة، ولا أمل من تكرارها، وقتلتها كثيراً في الماضي لأنها تنبع من جرح في أعماق نفسي نتيجة تجربتي الحزبية - قلت بأن حزينا شكاً دوماً من مرضين وتعرض دوماً لخطر الأقليمية أو مرضها، ومرض الحكم أو الانغماس في جوه. وبتعبير أدق أقول: بأن القصد من الأقليمية ليس نزعة - فكرية أو عملية - لتقديم إقليم على آخر، أو إقليم على بقية أجزاء الوطن، وإنما الأصح أن أقول المحلية، الاهتمام بما هو محلي، وبالدرجة الثانية أو الثالثة أو الخامسة بالأمر القومي. وهنا فإني أتبنى كلام الرفيق مائة بالمائة عندما يقول بأننا مطالبون بأن نعطي ليس فقط من دخلنا، بل من ثروتنا للأقطار الأخرى، وهذه ليست فقط عاطفة خيرة وسخية ودليل محبة لبقية الأقطار وبقية الأجزاء من شعبنا، وإنما هي تعبير عن منطق مبرز هذا الحزب، هي في نفس الوقت فكر وأخلاق. فكر لأن حزينا انطلق من هذا التفكير منذ اليوم الأول، بأن ما يفيد القضية القومية يفيد كل قطر، وأن المصلحة القومية العليا هي أولاً وتأتي

بعدها المصلحة القطرية . وفي كل مرة طبقنا هذا المنطق نجحنا، وفي كل مرة خالفناه فشلنا . وهي مسألة أخلاق إلى جانب كونها فكراً ومنطقاً حزبياً، لأن الاخلاص لهذا المنطق يتطلب تضحية، تضحية من الحزب في القطر، من كل قائد فيه . وكل شخص عادة يُدفع بشكل غريزي إلى أن يفضل الأشياء القريبة منه، لأنها تؤمن له نجاحاً شخصياً قريباً، كما أن الحزب في القطر مدفوع أيضاً - ما دام هو مجموعة أشخاص - لأن يراعي المصلحة القريبة . وهنا تظهر ميزة البعثي فكراً وأخلاقياً في آن واحد، عندما يمدّ بصره الى بعيد، وعندما يرتفع فوق المصلحة القريبة . ولولا هاتان الميزتان لتراجع حزب البعث، ولولا أن وجد دوماً في هذا الحزب أعضاء كباراً وصغاراً، والصغار أكثر من الكبار، أقولها وأعترف بها، كانوا مندفعين وراء هذا المنطق بكل براءة، لكان هذا الحزب تشوّه وانتهى منذ زمن طويل . لو لم يوجد دوماً أشخاص - كبار وصغار - يفكرون في الجزائر، يفكرون في المغرب، يفكرون في اليمن، يفكرون في أبعد قطر وأصغر قطر، قبل أن يفكروا في القطر الذي ينتمون إليه، دون أن ينتقص هذا من نضاليتهم في قطرهم ودون أن يتخذوا ذلك ذريعة لكي يتهربوا من النضال فيه . ولقد مرت علينا تجارب وفيها الشيء الكثير مؤلم، يوم كان للحزب نواب كثيرون في سورية، ولم تكن تثار قضايا الوطن العربي كما يجدر بحزب البعث أن يثيرها - قضية الجزائر بصورة خاصة - ولكن كانت قاعدة الحزب، وكان العمل الشعبي في الحزب مخلصاً لهذا الخط .

أحب أن أكرّر الفكرة الأساسية، والتي تتلخص بأن الفئة القيادية المناضلة في الحزب، ترتكب أخطاء منها الجسيم ومنها المتوسط ومنها الصغير، وتحدثت عن عقلية التكتل وما يتبعها . . وقلت بأن الطرف الذي نحن فيه، خصوصاً بالنسبة للوصول الى السلطة يجعلنا نقلق كثيراً فيما إذا تركنا هذه الأخطاء تتضخم دون أن نكشفها ونضع لها حداً أما المشكلة الأخرى فهي أيضاً مشكلة حقيقية وحادة، مشكلة الحزب وخصوم الحزب وأعداء الحزب - الحزب مقابل الرجعية، مقابل الشعبوية، مقابل البرجوازية، مقابل بقية الأعداء . ولقد واجه المؤتمر هذه المشكلة، ومن خلال إقراره التقارير، حسم الموضوع، ولم يكن هناك أي خلاف على ذلك . كان في التقرير العقائدي خلاف، هل تكون الصفة القومية واضحة وأكيدة، أو تكون كالبخار والوهم؟ ولقد حسم المؤتمر

الموضوع واختار أن تكون هويته القومية حقيقة واضحة وأكيدة .
قلت في المؤتمر بأن المشكلة، هي في كيفية تكوين الأداة الممثلة للثورة، والتي
تشرف على تحقيق الثورة وبرنامج الحزب. وليست المشكلة هي الحزب وخصوم
الحزب. فهل ننجح إذا وضعنا الخط السليم، ولم يوجد من يطبق هذا الخط السليم؟ .
إن المخاوف المشروعة بأن يطغى الارتجال، تطغى الفردية، والروح العاطفية
اللاموضوعية، أن تطغى عقلية التكتل، جو الارهاب للأقلية، أن تُفقد الحرية - عن
حسن نية أو سوء نية سيان - المهم يجب أن نحافظ على الحزب. ولا يجوز أن نتذرع
بأخطار أعداء الحزب، من أجل أن نهرب الأقلية ونتخلص من الحرية ومن جو الحرية
في الحزب. إن هذا خطر كبير وخطأ فادح.

٢٢ تشرين الأول ١٩٦٣